

# مسكلات ترجمة الأدب الإفريقي لاسبوي

بقلم د. أنار سينغ

اشكال الفن والسلوك ، والتعبير الثقافي ، بل ويمكن استخدامها للتأثير على خيال الناس وامانيهم ، وعلى اعمق ما تخلق به افئدتهم من مشاعر واحاسيس .

واذا افترضنا انه حتى على الرغم من الجهود التي تبذلها الدول حديثة العهد بالاستقلال لابرز اللغات القومية كوسيلة لتسيير الجهاز الاداري او التعليم ، اشتدت قبضة اللغات الاوروبية على الحياة القومية في الامم المستقلة حديثا، فان هذا انما يرجع اساسا للانقسام الاجتماعي الثقافي العميق الذي احدهته اللغات الاوروبية في هذه الامم . وليس في الامكان التفاوض عن الزايبا العملية الأساسية التي ستعود على الشعوب الافريقية الاسبوية من تعلم اكر عدد ممكن من اللغات سواء اكانت غربية ام لا . ولكن هذا لا يعني اننا نتقبل بلا تردد ان تحل اللغات الاجنبية محل اللغات الوطنية . وعلى العكس من ذلك فان تأكيد الوضع الرفيع الفريد للغات القومية في الحياة القومية للشعوب الافريقية الاسبوية ، هو الشرط الاساسي ليس فقط لكي تتمكن من تحديد مصيرها بنفسها والسيطرة على مقدراتها وانما ايضا كي تحتفظ بتماسكها القومي ونحوي ذاتها .

وهكذا نجد ان تبعية اللغات الافريقية الاسبوية ( ربما باستثناء الصينية واليابانية ) للغات الاوروبية ، قد عرقل تطور الصلات الثقافية بين الشعوب الافريقية الاسبوية .

والواقع ان اللغات الاوروبية كانت بمثابة الاداة الرئيسية في عملية نقل الادب الغربي الى الشعوب الافريقية الاسبوية ، الا انها لم تقم بالدور الاكثر اهمية ونعني به دعم التبادل الثقافي الهادف . ولم يترجم الا جزء لا يكاد يذكر من ادب الشعوب الافريقية الاسبوية الى هذه اللغات وهنا ايضا نجد انه تعطى الاهمية الاولى للنصوص الدينية والصوفية ، التي ربما لا تلقى استجابة الا من جانب عدد محدود من القراء الاوروبيين ولم تعمل اية دولة مستعمرة على تشجيع اللغات او الاداب الافريقية الاسبوية في مستعمراتها ، كما انها لم تشجع اي لغات اوروبية اخرى غير لغتها . ونتيجة لذلك انزلت غالبية الامم الافريقية الاسبوية ، ليس فقط ، عن شقيقاتها الافريقيات الاسبويات المجاورة لها ، وانما حرمت ايضا من فرصة الحصول على نوافذ بديلة على العالم الخارجي . ومثل هذه العزلة التامة لا بد وان تؤدي الى عدم تعرف الشعوب الافريقية الاسبوية على بعضها ، حيث انه لا توجد بينها وسائل اتصال مشتركة تكفي لسد هذه الهوة .

واذا ما نظرنا الى العالم الافريقي الاسبوي من وجهة نظر لغوية محضة ، فاننا سنرى مشهدا ينطوي على الكثير من الاختلاف والتباين . ومن حق هذه الامم جميعا ان نفخر بتراتها الادبي الوطني .

ان اهم حقيقة تميز فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هي حصول الامم الافريقية الاسبوية على استقلالها السياسي . فقد واجهت هذه الامم صراعا مريرا طويلا ضد مختلف الوان واشكال الاستعمار الاوروبي والامبريالية الاوروبية . وفي جميع الاحوال ، كانت هنالك حركات من اجل التجديد والصحة القومية ، تمهد للنضال الوطني في سبيل الحرية السياسية . ومما زاد من تعقيد الحركات الوطنية التي كانت تسمى من اجل تأكيد الشخصية القومية في عالم سريع التغير ، تلك الصفات المميزة لعملية الاستقلال الاستعماري القديم منه والجديد . وكان النضال الوطني يستهدف احياء الروح القومية ، واماطة اللثام عن الافكار والمثل والمؤسسات الغربية ، وكشفها وفضحها . ولقد ترتب على هذه المواجهة مع الغرب ، تولد وعي ، على مختلف المستويات ، بوجود قيم ثقافية جديدة ، بما في ذلك فيم الادب الغربي .

لكن هذه المواجهة مع الغرب لم تكن بين طرفين متساويين ، وذلك لوجود عنصر من عناصر التشويه الثقافي ، في الدول التي كانت تعاني الاستعمار . لقد كانت علاقة بين الفانحين وبين المفلولين على امرهم ، علاقة بين السادة والعبيد ، ونتيجة لذلك فرضت الدول المستعمرة لغاتها على اللغات المحلية . ومن الواضح ان عملية الفرض هذه قد لعبت دورها في تحديد انماط نمو اللغات الافريقية الاسبوية ، ولعل اكر دليل على ذلك تقسيم القارة الافريقية الى دول تسودها اللغة الانجليزية واخرى تسودها الفرنسية .

والواقع ان النظر الى اللغات المحلية على انها لغات تخدم اغراض الحديث فقط ، حتى في بلاد مثل الهند وباكستان حيث وصلت اللغات القومية المحلية الى مستوى عال من النمو والتطور ، واحتكار اللغة الانجليزية لمختلف قطاعات الحياة الوظيفية مثل الادارة والتعليم والصناعة والمصارف والتجارة وحتى الصحافة قد عملا على وقف نمو هذه اللغات المحلية ، وذلك بابعاد الطبقات المتعلمة عن استخدامها في مختلف عمليات النشاط الابداعي .

ومن اهم المشاكل الثقافية العديدة الناجمة عن السيطرة المطلقة للغات الاستعمارية ، انها أصبحت النافذة الوحيدة على العالم بالنسبة للشعوب الافريقية الاسبوية . وهكذا تأثرت الحياة الثقافية كلها تأثرا شديدا ، نتيجة لهذا الاعتماد الذي لا مناص منه على لغات السدول المستعمرة التي من خلالها وصلت تكنولوجيا الغرب وعلومه وفلسفته وآدابه الى الدول الافريقية والاسبوية سواء كانت ناضل من اجل الاستقلال او حصلت عليه حديثا . وبطبيعة الحال كانت هذه العملية تنطوي على تلوين ايدولوجي اذ ان اللغات ليست مجرد ادوات اجتماعية محايدة ، فيمكن استخدامها بسهولة لتحديد نمط الحياة وصياغة

زاوية اخرى . اذ علينا ان نميز بين ترجمة الاداب الكلاسيكية وكتابات الكتاب المعاصرين . فبينما يمكن ان نترك الاداب الكلاسيكية القديمة للأكاديميات والجامعات ، فمن الافضل بل ومن الواجب ان تتولى حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين بنفسها - لاسباب واضحة - ترجمة الكتابات المعاصرة . الا انه ينبغي ، بادى ذي بدء ، ضمان استمرار تجميع المعلومات عن الكتابات المعاصرة الهامة بمختلف اللغات الافريقية والاسيوية ، وتبادلها بشكل منتظم ، لا سيما ان ذلك يقلل من الفترة الزمنية بين ظهور العمل الادبي لأول مرة بلقته الاصلية وترجمته الى اللغات الاخرى ، ففي الاوضاع الحالية ، تمر سنوات بل وعشرات السنين قبل ان يلاحظ ظهور اي عمل ادبي من الاعمال الهامة باحدى هذه اللغات . وقد يكون من المفيد هنا ان نستفيد من تجربة الاتحاد السوفييتي في مجال تنظيم الترجمة بين مختلف اللغات المستخدمة في انحاء الاتحاد السوفييتي . فاذا ما تغلبنا على هذه المشكلات سيكون بوسعنا ان نضمن ظهور شخصية وتقاليد ادبية افريقية آسيوية حقيقية .

والترجمة وحدها لا تمثل الا حلقة واحدة في التقريب بين الاداب الافريقية الاسيوية واهم منها ان نشجع الاهتمام الجدي بيسن الشعوب الافريقية الاسيوية باداب بعضها البعض . والمتوقع بطبيعة الحال ، انه ليس هناك افضل من مشاركة الشعوب الافريقية الاسيوية في التراث الادبي لبعضها البعض لان التراث الادبي للشعوب الافريقية الاسيوية يسجل ذكريات التطلعات والتجارب المشتركة ، وما تعرضت له هذه الشعوب من استغلال استعماري ونضالها البطولي ضد القوى الاستعمارية ، واحلامها في ان يسود السلام ، وان يتحقق العدل الاجتماعي والتحرر من العوز . ولكن ذلك لم يتحقق بعد . فبينما وجهت معظم الشعوب الافريقية الاسيوية القدر الاكبر من طاقتها ومواردها من اجل الامام الكامل بالاداب الاوروبية ( وليس الى دراسة اللغات الاوروبية ) لم يبذل اي جهد يذكر حتى الان لتشجيع دراسة الاداب الافريقية والاسيوية بين هذه الشعوب . بل انه بالرغم من ان الهند وباكستان تشتركان فيما لا يقل عن ثلاث لغات رئيسية هي البنجابية ، والسندية ، والوردية ، كما تشتركان في التقاليد ، لم تعبأ الهند باجراء اي دراسة منظمة لاي من الاداب الباكستانية كما لم تكلف باكستان نفسها عناء الاهتمام بالاداب الهندية . وهذا هو الحال في عالم الدول الافريقية بصفة عامة .

ومن المثير للاهتمام ان نلاحظ انه بينما تمتلئ المكتبات في الدول الافريقية الاسيوية تماما بكتابات لا ترقى الى مستوى الادب ( مما تنتجه المطابع بكيمات كبيرة باللغات الاوروبية ) اكثرها من الكتابات التي تتحدث عن الهروب وتعالج الجريمة ، والعنف ، والجنس ، والاباحية ، والتعاليم الدينية الزائفة ، لا تكاد تشهد على رفوف هذه المكتبات عملا من اعمال الكتاب الافريقيين الاسيويين - وان سمت مكاتبتهم ، وتحول عالم الادب الافريقي الاسيوي باكملة - على هذا النحو - الى مساحة مظلمة ، لا يمكن فهمه الا في اطار التأثير المارغل للثقافة الاستعمارية التي ظلت تحافظ على بقائها حتى بعد الاطاحة بالامبريالية في الجزء الاكبر من العالم الثالث . ورغم ان اقناع الشعوب الافريقية الاسيوية بضرورة تشجيع دراسة الاداب الافريقية الاسيوية يستغرق الكثير من الوقت والجهد الدبلوماسي ، ينبغي على اللجان الوطنية للكتاب الافريقيين الاسيويين ان تبحث امكانية اصدار مجلات عن الادب الافريقي الاسيوي بلغاتها الوطنية لتكون بمثابة ساحات لتبادل الاعمال الادبية وتشجيع الاهتمام بالنقد الادبي على صفحاتها . اما اذا لم يتيسر اصدار مثل هذه المجلات على الفور ، فعلى الاعضاء العاملين في حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ان يساهموا بجهودهم الفردية في خلق اهتمامات جديدة بالاداب الافريقية الاسيوية ، ومحاولة اشباع هذه الاهتمامات .

والواقع انه يمكن ان نعتبر الدول التي تضم اجناسا متعددة مثل الهند وباكستان بمثابة قارات ، وذلك اذا ما اخذنا في الاعتبار الملايين من الاشخاص الذين يتحدثون عددا كبيرا من اللغات . ولذا فانه يتحتم على اي مشروع جريء يتسم بسعة الخيال يستهدف دعم نشاط الترجمة على المستويين الوطني والدولي داخل العالم الافريقي الاسيوي ، ان يأخذ هذا التباين الشديد بعين الاعتبار . وكان هذا البحث لا يعرف لغة غير الروسية التي تتوفر لها امكانيات الترجمات المباشرة من اداب اللغات الافريقية والاسيوية والبها . وهنا ايضا نجد ان غالبية الترجمة من الادب الروسي الى اللغات الافريقية الاسيوية ، انما تتم من خلال الانجليزية او الفرنسية . وهذا ينطبق على الهند على الاقل . ونادرا ما نجد اعمالها مترجمة في اللغات الهندية من اللغة الانجليزية مباشرة . لذلك ، فليس من المدهش ان يفقد الاصل من طابعه عند ترجمته للمرة الثالثة او الرابعة من اللغات التي ترجم اليها من قبل ، جانبا اكبر بكثير مما يفقده عند ترجمته من لفته الاصلية مباشرة . اما اذا كانت الترجمة من اي من الاداب القومية السوفييتية الاخرى فسيكون الفارق بين العمل الادبي الاصيل والترجمة كبيرا جدا ، اذ ليست هناك في الوقت الحاضر تسهيلات لترجمة اعمال الكتاب السوفييت الى اللغات الافريقية الاسيوية مباشرة ، اللهم الا من اللغة الروسية .

ولعل من المناسب ، في هذا الصدد ، ان نشير الى ان اهم المشكلات التي ينبغي ان نواجهها هي كيف يتسنى لنا تطوير بعض اللغات الافريقية الاسيوية نفسها كوسيلة للتبادل الادبي بين الشعوب الافريقية الاسيوية وبذلك نتجنب الحاجة الى الالتجاء الى اللغات الاخرى غير الافريقية او الاسيوية . وقد استطاعت الهيئة القومية للكتاب في الهند معالجة هذه المشكلة ، على نطاق محدود ، ضمن خطتها المعروفة للتبادل الادبي بين مختلف اللغات الهندية ، وهي الخطة التي تعرف باسم ادان - يرادان . فلا يوجد ، حتى الان ، نشاط يذكر في مجال الترجمة بين اللغات الهندية وبعضها البعض ، والاعمال القليلة التي امكن ترجمتها كانت تتم اساسا عبر اللغة الانجليزية . الا ان الهيئة القومية للكتاب ، حاولت ، بالتوجيه الملهم لكارتار سينغ دوجال ، كاتب القصة القصيرة البنجابي الشهير ، قلب هذا الوضع . فقد ابتعدت اسلوبا لوضع نسخة اساسية باللغة الهندية مستمدة من مختلف الكتب المختارة من اللغات الهندية الهامة لترجمتها الى اللغات الاخرى في وقت واحد . ومن هذه النسخة الاساسية باللغة الهندية تم الترجمة الى جميع اللغات الاخرى . وقد احتفظت الترجمات التي تمت بهذه الطريقة بطابعها الهندي الاصيل بدرجة اكبر كثيرا مما كان متوقفا . وتزداد هذه الحقيقة وضوحا عندما نقارن بين جودة هذه الترجمات من الناحية الادبية وجودة الترجمات الاخرى السابقة الشائعة لاعمال رايندرانات طاغور نقلا عن الترجمة الانجليزية لها . والى ان يتوفر العدد الكافي من المترجمين الكفاء القادرين على الترجمة من احدى اللغات الهندية الى اللغة الاخرى ، كما هو الحال في الدول الاوروبية ، سيكون من المفيد استخدام اللغة الهندية كلفة للتبادل الادبي بين مختلف اللغات المستخدمة في انحاء الهند .

وبالمثل ، فاذا كانت حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين تقيس توجيه جهودها نحو تشجيع الترجمة المباشرة من لغة الى اخرى ، فينبغي وضع خطة لجعل بعض اللغات الافريقية الاسيوية الهامة مثل العربية والفارسية ، والاردية ، والهندية ، والتاميلية ، والسواحيلية ، والصينية ، واليابانية هي لغات التبادل الادبي . وتقوم الفكرة على ترجمة افضل الاعمال الادبية في العالم الافريقي الاسيوي الى هذه اللغات وتسهيل ترجمتها بعد ذلك الى اللغات الافريقية والاسيوية الاخرى المرتبطة بها .

كما عولجت مشكلة الترجمة بين اللغات الافريقية الاسيوية من